2 ـ كتاب المعجم

لا يذيع ابن الابار سرا حينما يقول انه ألف كتاب المعجم هذا على نمط المعجم الذى الفه من قبله القاضى عياض. وهو يفتتح مقدمة معجمه هذا بالاشارة الى ما احتواه ، فيقول :

« وبعد فهؤلاء الرواة عن القاضى ابى علي بن سكرة الصدفى السرقسطى ويعرف بابن الدراج . سموت الى جمع اسمائهم، وأبيات عن مكانهم ، بما أمكن ذكره من انبائهم (1) ، مباهيا بهم وبعصرهم ومناغيا ابا الفضل عياض (2) فى جمع شيوخه وحصرهم. ولاغرو نحوه فى المعجم الذى صنع نحوت، وفوز قدحى، باخلاص كدحى رجوت ، ليكون هذا لذلك

---

(1) فى طبعة كوديرا تجد لفظة «ابنائهم» . وواضح عدم استقامة الكلمة .

(2) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبى . القاضى المحدث الحافظ الحافل. استقر أجداده فى القديم بحمة بسطة ، ثم انتقلوا منها الى مدينة فاس ، =

تتمة، وليهون الوقوف منهما (1) عليهم مؤتمين وأئمة. وهم بين صاحب فى الاخذ عنه (2) راغب، وتلميذ على السماع منه راتب.

ويزيد ابن الابار فى شرح فضل القاضى ابى علي بن سكرة فيذكر أن الاخذ عنه لم يكن مقصورا على اصحابه وتلامذته ، بل ان شيوخه افادوا من علمه ودرايته بالحديث، وان من شيوخه من ذكره فى مؤلفاتهم ، فيقول:

= ثم الى سبتة. وبها ولد. وسمع من مشيختها، وتفقه على بعضهم. ورحل الى الاندلس فأخذ بقرطبة عن ابى الحسين بن سراج وابى عبد الله بن حمدين وابى القاسم بن النحاس وابن رشد وغيرهم ورحل منها الى مرسية فقدمها فى عهد المرابطين فى غرة صفر سنة 508. وكان ابو علي الصدفى قد استخفى قبل ذلك بأيام، ونبذ خطة القضاء من غير ان يعفى فمكث عياض بقية صفر وشهر ربيع الاول وقابل اثناء ذلك بأصول الصدفى، وكتب منها ما أمكن على يد خاصة من أهل الصدفى. ولا شك فى ان تصرفه هذا كان بأمره. وكان عياض لا يدرك شأوه، ولا يبلغ مداه فى العناية بصناعة الحديث، وتقييد الآثار وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه ، والتصرف الكامل فى فهم معانيه ، الى اضطلاعه بالاداب ، وتحققه بالنظم والنثر، ومهارته فى الفقه، ومشاركته فى اللغة العربية. انظر ترجمته فى « ازهار الرياض فى اخبار القاضى عياض » وكذلك فى صفحة 294 من المعجم لابن الابار. وتوفى فى سنة 544.

(1) فى الاصل الذى نشره كوديرا « منها » وأرى أن المعنى لايستقيم الا بقراءة « منهما »

(2) اى عن ابى على بن سكرة الصدفى.

« ومن شيوخه من شذ ، واعتقد فى وقته الفذ ، فكتب من روايته ، وخصه بحظ من عنايته . ذلك لاختصاصه بقربة هى ما هى ، ورتبة فى العدالة بلغت التناهى . وقد ذكره ابو القاسم بن عساكر فى تاريخه ، لدخوله الشام ، ونص عليه فى بابه علما يناضى الاعلام »

هذا هو موضوع الكتاب ، تراجم تلاميذ القاضى الصدفى ومن اخذوا عنه ، تلمذة او كتابة بالتواصل ، بغض النظر عن مواطنهم [1] واعمارهم .

وعبارة ابن الابار فى مقدمة معجمه تشير الى ان ابا الفضل عياضاً قد الف معجما جمع فيه تراجم شيوخ الصدفى ، وان معجم ابن الابار يتمم ناحية اخرى من دراسة الصدفى بذكر تراجم من تتلمذوا عليه . وبهذا تكمل دراسة الشيخ المحدث اصلا وفرعا . فأين هذا المعجم المعزو للقاضى عياض ؟

---

(1) واضح من الترجمة التى ذكرتها فى هامش الصفحات الماضية للقاضى عياض انه لم يلتق بالصدفى ، وان كان قد نقل عن أصوله ، ويرى ابن الابار ان هذا كان باجازة منه .

يقول حاجى خليفة فى كتابه « كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون »:(1)« المعجم فى شرح مشيخة ابن سكرة (ابى على الحسين (2) بن محمد السرقسطى الاندلسى) الصدفى . المتوفى سنة اربع عشرة وخمسمائة ، القاضى عياض بن موسى اليحصبى المتوفى سنة 544 . خرج له القاضى مشيخته، فذكر فى اولها ترجمة لابى علي المذكور فى اوراق، وانه اخذ عن مائة وستين شيخا . ولا يفتأ ابن الابار يقتبس من معجم عياض فى معجمه هو، ويذكر ذلك فى مناسبات مختلفة ، فتراه يقول احيانا :

---

(1) صفحة 1736 من المجلد الثانى طبعة اسطنبول سنة 1943 .

(2) هو حسين بن محمد بن فيره بن حيون ويعرف بابن سكرة . وكلمة فيرة اسبانية ـ كما يقول ليفى بروفنصال فى *P. 223, J. A. 1923* ـ وتنطق بكسر الفاء والياء وتشديد الراء المفتوحة . وهو من اهل سرقسطة سكن مرسية وروى بسرقسطة عن الباجى وابى محمد عبد الله بن محمد ابن اسماعيل وغيرهما. وسمع ببلنسية عن ابى العباس العبدرى . . . رحل الى المشرق اول المحرم سنة 481 وحج فى عامه ولقى عددا من العلماء فى مكة . ثم سار الى البصرة ولقى عدداً من العلماء فى مكة ، ثم سار الى البصرة ، ولقى بها عددا من العلماء . ثم ذهب الى بغداد فسمع بواسط، من ابى المعالى محمد بن عبد السلام الاصبهانى وغيره، ودخل بغداد وأطال الاقامة بها خمس سنوات سمع بها الحديث والفقه . ثم رحل منها سنة 487 الى دمشق ومصر والاسكندرية ووصل الى الاندلس سنة 490 وقصد مرسية فاستوطنها. وقعد يحدث الناس بجامعها، ورحل اليه =

« ولم يذكر عياض فى المعجم وفاة فلان . . . (1) » « وقال عياض (2) فى المعجم كذا . . » « وحكى القاضى عياض فى اول المعجم ان انفراد ابى علي الصدفى بالاماتة فى الحديث بالاندلس لم يكن الا بعد وفاة كتيه وسميه ابى علي الغسانى آخر المسندين بقرطبة . ! (3) . . . » . « والابيات التى اولها :

وشادن دينه التشيع بالكر خ يغاهى المنون بالميل

انشدها القاضى عياض فى المعجم . ومن طريقه تتصل لنا باسناد الانشاد الى قائلها . وهى عندنا عن ابى الربيع شيخنا عن (4) الخ «فهذه جميعها مقتبسات تدل على ان ابن الابار درس معجم

= الناس من البلدان وكثر سماعهم عليه. وكان عالما بالحديث وطرقه، عارفا بعلله، واسماء رجاله ونقلته . وكان حافظا لمصنفات الحديث، ذاكرا لمتونها واسانيدها ورواتها . وكان قاضيا دينا متواضعا . استقضى بمرسية ثم استعفى فأعفى. وحضر وقعة كتندة بالرغم من كبر سنه ،فقتل بها سنة 514 (1120) وكانت سنه نحوا من سبعين سنة. ولم يكن بشرق الاندلس فى وقته مثله فى تقييد الحديث وضبطه ، وروايته(راجع : بغية الملتمس للضبى ، والصلة لابن بشكوال ، ونفح الطيب صفحة 365 الجزء الاول) .

(1) صفحة 8 من معجم ابن الابار .

(2) صفحة 28 من معجم ابن الابار

(3) صفحة 78 من معجم ابن الابار

(4) الصفحات 120 ، 188 ، 204 من المعجم

عياض دراسة جيدة وافية ، وافاد منه واعتمد عليه باعتباره مصدرا من مصادر تاليفه : (معجم تلاميذ الصدفى) . وهو قد أكمل ما وجد فيه من نقص ، وعلق عليه احيانا .

وبهذا التاليف ـ تاليف معجم اصحاب الصدفى ـ أكمل ابن الابار الشق الثانى من حياة الصدفى . فعياض كتب المشيخة وابن الابار كتب التلاميذ .

ومن الغريب أن كوديرا زبدين لم يشر فى المقدمة اللاتينية التى كتبها لمعجم اصحاب الصدفى ، الى معجم عياض بشىء مطلقا .

وهنا نتساءل أين معجم عياض هذا ؟ الغالب انه فقد . فنحن لا نعثر عليه فى فهارس المخطوطات العربية ، وهو لم يطبع . ولا نجد ممن كتبوا فى الادب العربى وتاريخه من يشير الى وجوده بكثير او قليل ، اللهم الا ما ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون ، كما اشرنا الى ذلك .

ولو كان هذا المعجم قد وجد لامكن بدراسته المقارنة بينه وبين معجم ابن الابار فى اصحاب القاضى ابن سكرة .

ونعود الى معجم ابن الابار ونقول انه يضم تراجم لثلاثمائة وخمسة عشر راوية من رواة الحديث الذين تتلمذوا على الصدفى، غير من ضاعت تراجمهم فيما ضاع من صفحات المخطوط الذى نقل عنه الكتاب .

وقد اعتمد ابن الابار فى استقاء معارفه لوضع هذه التراجم والاقتباس على نحو من ثمانين مؤلفاً . وهو يذكر احيانا المؤلف باسمين مختلفين. وقرأ من مؤلفات عياض [1] البرنامج [2] والمعجم. وهو ينص من حين لآخر على انه قرأ كتاب كذا وكذا وعلق عليه [3] بخطه .

وواضح من قائمة الكتب التى نشرها كوديرا فى آخر المعجم ، والتى اشار اليها ابن الابار فى هذا المؤلف ، ان هذا الاخير قرأ جميع ما نشر او ألف ، أو روى عن ابى علي

(1) انظر ترجمته مفصلة وكتبه فى أزهار الرياض ونفح الطيب. وقد ترجم له السيد عبد الله كنون فى «النبوغ المغربى فى الادب العربى» فى الجزء الاول صفحة 79 والجزء الثانى.

(2) نعم لدينا مخطوط برنامج القاضى عياض وهو فهرسة مشيخته هو، ويضم مائة ترجمة لشيوخه .

(3) انظر صفحة XIV من مقدمة المعجم اللاتينية.

الصدفى ، قراءة باحث متخير .

وهنا تلفت نظرنا ظاهرة غريبة هى ميزة ابن الابار التاليفية التى تظهر فى جميع مؤلفاته التى اشرنا اليها .. ما وصل منها الينا وما لم يصل - قدرته على مراجعة جميع هذه المصادر التاريخية والادبية ، واستيعاب ما فيها ، ثم تخير ما يحتاج اليه ومقارنته فى اكثر من مصدر ، وتحقيقه ووضعه فى الصيغة النهائية المناسبة للكتاب المؤلف . ولابد ان يكون ابن الابار ذا ذاكرة حافظة واعية قوية يستطيع بها ان يذكر مواطن المادة التى يريد استخلاصها ، فيرجع اليها بسرعة فى مصادر مختلفة ويتذكر ما روى له ، ولابد كذلك أنه كانت عنده مكتبة قيمة كبيرة ، ضمت جميع هذه الكتب التى اعتمد عليها فى تاليفه او معظمها . ولابد أنه كان لديه الوقت المتسع للاطلاع والكتابة .

وترتيب المعجم يزعم انه يتبع النظام الهجائى المألوف . ولكنه يختلف عنه فى الواقع كما حدث فى التكملة ، من ذلك انه يبدأ باسم « احمد » قبل اسم « ابراهيم » مع أن الثانى

له الصدارة لتقدم الباء - بعد الالف - على الحاء . ولعل السبب في هذا هو التيمن والتبارك باسم احمد - صلى الله عليه وسلم - وتقديمه على سائر الاسماء كما ذكرنا .

فاذا انتهى من ذكر تراجم الاسماء التى تقع تحت حرف من الحروف ختمها عادة بعبارة تدل على ذلك . من هذا قوله عند الانتهاء من ترجمة من يبدأ اسمهم (1) بالالف :

انقضى حرف الالف، وعداد من فيه ثمانية وخمسون رجلا . وانما ذكرت كل كثير السماع او شهير السماع ، الا (2) افذاذاً (3) اشرت اليهم ونبهت عليهم . ومع هذا بالتكملة (4) على نحو اربعين منهم مشتملة . وهى من الاشهاد لدعوى الاجتهاد، نفع الله به ، وقد يوجد هنا من يعدم هنالك . ولا اغفال فعمداً

(1) صفحة 69 من المعجم

(2) كان ينبه على هؤلاء « الافذاذ » بذكرهم تحت عنوان خاص هو « وفى الافراد »

(3) هكذا اجد كلمة «أفذاذا» فى طبعة كوديرا. وأوثر ان اقرأها «أفرادا» ولعل المخطوط كان غير واضح فى هذه الكلمة، لان كلمة «أفرادا» تنسجم اكثر فى المعنى وتوافق ما اشار اليه قبل تحت عنوان « وفى الافراد » .

(4) هكذا الكلمة « بالتكملة » والاصح عندى « فالتكملة » ليستقيم المعنى ويريد بالتكملة هنا « تكملة الصلة » وهو الكتاب الذى الفه قبل المعجم.

فعلت ذلك ».

ثم ينتقل من حرف الالف الى حرف الجيم ، ويقول قبل البدء فى الاسم الاول من حرف الجيم « وليس فى ما بعد الالف الى الجيم معروف من هؤلاء الرواة ولا مكثر ».

ونجده كذلك بعد الانتهاء من تراجم من فى حرف الجيم والحاء والخاء يقول : « ليس فى هؤلاء الرواة من اول اسمه دال ولا ذال ، وعدة المذكورين فى الحروف الثلاثة الجيم والحاء والخاء ثلاثة عشر منهم فى التكملة تسعة رجال ».

وبعد الانتهاء من حرف الظاء يقول : « وليس فى حرف الكاف من هؤلاء الرواة من اذكر. وعدة من فى هذه الحروف الاربعة - يعنى الراء والزاى والطاء والظاء - مع الآتى فى حرف اللام بعقب هذا ثمانية رجال جميعهم فى التكملة الا زياد بن الصفا . وهم من حرف الالف الى حرف الميم تسعة وسبعون ».

والمتتبع لترتيب التراجم لايجدها اذاً تتبع لا النظام الهجائى ولا الابجدى . من ذلك اننا نجد حرف العين بعد حرف الميم مع انه سابق له فى الترتيب الهجائى ، وحرف السين

بعد حرف العين ، مع انه سابق له فى الترتيبين الهجائى والايجدى. ولا يذكر لنا ابن الابار السبب فى هذا الترتيب [1]. ويجىء حرف الياء - وهو الاخير - بعد حرف السين مباشرة.

اما التراجم نفسها فتختلف طولا وقصرا بحسب اهمية المترجم، وما يريد ابن الابار ان يذكر عنه. وغالبا ما يذكر تاريخ الوفاة ومكانها، او صورتها، مات شهيدا، مات قتيلا . . . الخ .

وقد ظل اصل المعجم مخطوطا بمكتبة الاسكوريال حتى اشرف على اخراجه وطبعه المستعرب الاستاذ كوديرا ى زيدين . *F. Codera et Zaydin* الاسبانى . نشره فى سلسلة المكتبة العربية الاسبانية المسماة : *Bibliotheca Arábico - Hispaña* تحت اسم *ALMOCHAM* (*Dictionarium Ordine Alphabetico*) *Ab , Aben Al - Abbar . Matriti , MDCCCLXXXVI* (*1886*) وقدم له الاستاذ كوديرا بمقدمة لاتينية ، ذكر فيها نبذة عن ابى علي ابن سكرة الصدفى ، ونبذة عن تاريخ ابن الابار وكتبه ، ثم تعرض لكتاب المعجم نفسه ، وبين كيف وجد

(1) ذكرنا فى تعليق سابق ان هذا هو ترتيب الحروف الهجائية المتبع فى المغرب، وبذلك زال الاشكال فى هذا الامر .

مخطوطه ، وما كان فى المخطوط من نقص وفجوات ، وذكر شيئاً عن تاريخ المخطوط نفسه وكيف وصل الى مكتبة الاسكوريال، ويذكر كوديرا ايضا انه عمل بعض التهميشات الضرورية (1) باللاتينية. ثم عمل له اخيرا فهرسا للاسماء الواردة فى الكتاب وآخر للامكنة ، وثالثاً للكتب . وظهر هذا المعجم باعتباره الجزء(2) الرابع من سلسلة المكتبة الاسبانية العربية المذكورة

ومن المقدمة اللاتينية يمكن ان نستخلص ان مخطوط الاسكوريال يحتوى على 82 ورقة (3) فيها متن المعجم ، وثلاث ورقات اخرى - واحدة فى اول صفحات المتن وثنتان فى آخرها - تحتوى على مذكرات عن كتاب التكملة . وقد لاحظ كوديرا

---

(1) انظر هوامش الصفحات 6، 272، 315، 323

(2) اما الاول والثانى فهما الصلة (جزءان) والثالث بغية الملتمس للضبى

(3) يقول ليفى بروفنصال فى مجموعة Les Manuscrits Arabes de L' Escurial Tom. III P. 242, No 1730:

وليس فى المعجم اشارة الى تاريخ نسخه، ولكن يمكن أن يكون قد كتب فى سنة 721 (1321) لانه كان فى حيازة محمد بن رشيد ، وفى مكتبة الاسكوريال عدد من المخطوطات التى احتوتها مكتبته ، والتى أشار اليها فى رحلته. ويقول ان المخطوط يحتوى على 81 صفحة، وفى الصفحة 31 سطرا، ومساحتها 24 سم × 16 سم.

ان هذه الورقات الثلاث كانت مكتوبة بخط حديث العهد بالنسبة للمتن وغير جميل . ولم تطبع هذه الورقات الثلاث مع الاصل . وفى الصفحة الواحدة 31 سطرا ، وطول المكتوب من الصفحة 17،03 سنتيمترا وعرضه 11،05 . اما الصفحة كلها فطولها 23،04 سنتيمترا وعرضها 16،05 .والمتن مكتوب بالخط المغربى ، وفى صورة واضحة سهلة القراءة .

وفى الهامش تعليقات على المتن تتضمن تصحيحه او حذف بعض ما ورد فيه . وهذه التعليقات بخط من نسخ هذا المتن او بخط من راجعه على (1) نسخة اخرى .

والمخطوط فى تسع ملازم وفى نهاية كل ملزمة نجد كلمة تدل على الكلمة الاولى فى الملزمة التالية.ومن مراجعة هذه الكلمات يتضح انه لم يضع من الاصل شىء ، اللهم الا عند صفحة 80 فان هذه الصفحة واربعاً بعدها تالفة منها صفحتان مفقودتان .

---

(1) بعض هذه الهوامش لا يذكر اسم كاتبها، وبعضها (وكتبه محمد بن رشيد)وبعضها من خط ابن الجلاب (انظر صفحة 174)وقد ترجمنا ابن رشيد فى مكان آخر .

ويبدأ المفقود من هذه الصفحات المخطوطة فى المتن المطبوع [1] عند نهاية صفحة 315 .

ويظهر من عبارات ومذكرات وجدت فى آخر الكتاب وفى هوامشه ان المخطوط كان فى حيازة ابى عبد الله محمد بن رُشَيد الفهرى ، ثم فى حيازة ابنه يحيى الذى آل اليه المخطوط بعده . ونحن نجد فى هوامش الكتاب عبارات كالآتية :

« انشدنا الشيخ الامام المحدث الصوفى ابو بكر محمد بن احمد بن علي القسطلانى ابقاه الله ، غرة شعبان المكرم عام 685 (بالقاهرة) قال انشدنى ابن كمال الدين ابو العباس احمد قال : أنشدنا ابو الربيع سليمان بن عمر المالقى قال : أنشدنا ابن العريف . . . [2] وكتب محمد بن رشيد »

---

(1) يلاحظ القارئ هنا عدم انسجام المعنى. وقد علق الناشران فى الهامش بقولهما : « وهنا يوجد شئ مفقود فى المخطوط . وليس لدينا من الملزمة السابقة الا أربع ورقات فقط . وكانت الورقة الثمانون مختفية فى المخطوط رقم 83 فاعادها الاستاذ روبيرا الى مخطوط المعجم . والرأى عندنا ان المفقود ورقتان فقط واحدة قبل الورقة التاسعة والسبعين والثانية بعد الورقة الواحدة والثمانين » راجع صفحة 315 من المعجم .

(2) صفحة 21.

« الصحيح ستة ست كما ذكر » كذا قرأته بخط السلفى رحمه الله على نسخة من المجالس المذكورة [1] قاله ابن رشيد »

ومن الهامش المذكور فوق، نقلا عن صفحة 21 من المعجم يتبين لنا ان ابن رشيد [2] كان حيا فى سنة 685 أى بعد وفاة ابن الابار بسبع وعشرين سنة. ولكن خط المتن - كما يقول كوديرا يخالف خط الهوامش التى كتبها ابن رشيد. فمتى، ومن كتب المتن؟ اننا نجد فى الصفحة الاولى من المخطوط العبارة الآتية:

« قرأ علي جميع هذا الكتاب، وهو المعجم فى اصحاب القاضى ابى علي ابن سكرة الصدفى، وكتبه لنفسه الفقيه المحدث الضابط المحقق البارع، المتفنن الاحفل، نخبة العصر

---

(1) صفحة 50. كذلك راجع هوامش الصفحات 201 و 213 و 298.

(2) نعم هو كذلك فقد ولد بسبتة سنة 657 وبها نشأ وتوفى بفاس فى محرم سنة 721 وقد كان ابو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد محدثا مسندا متضلعا بالنحو واللغة والعروض عالما بالادب، حافظا للاخبار والتاريخ، عارفا بالقراآت السبع، خطيبا قديرا. وكان كثير الترحال والتجول فى البلاد (انظر ترجمته من صفحة 136 من الجزء الاول من النبوغ المغربى فى الادب العربى للسيد عبد الله كنون.)

ومالك اعنة النظم والنثر، ابو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن رشيد الفهرى، حرس الله كماله، وسقى آماله واعتماله. وحدثته به عن مؤلفه شيخنا الحافظ الحافل الكاتب الكامل، الصدر الاوحد، خاتم أئمة الآثار والاسناد، وضابط مالا يدخل تحت الحصر والاعتداد، ابى عبد الله محمد بن عبد الله ابن ابى بكر القضاعى ابن الابار - رحمه الله، والحقه رضاه - سماعا منى عليه ببجاية حرسها الله تعالى، فى حدود عام خمس وخمسين وستمائة، بقراءة صاحبنا الفاضل المحدث العدل الحافظ المحقق الاوحد الشهير، ابى عبد الله بن الجلاب، رحمة الله عليه. وقد حدث شيخنا ابو عبد الله المذكور فى مواقع من هذا الكتاب عن جملة هم فى عداد شيوخى الذين رويت عنهم او اجازونى كتبا. فحدثت بما استفدت فى ذلك منهم كابى عيسى بن ابى السداد... وغيرهم .... وحضر للسماع [1] بهذه القراءة النبيهان الحسيبان النجيبان الذكيان الزكيان ابو القاسم

---

(1) اى حضر المجلس مع علي بن محمد بن ابى القاسم بن رزين التجيبى عند قراءته المعجم على ابن الابار فى سنة 655 ببجاية.

احمد بن الشيخ الفقيه الكاتب الفاضل الاسنى ابى الطاهر اسماعيل بن الشيخ الفقيه الافضل المرحوم ابى عبد الله محمد بن يحيى بن عبد العزيز الغسانى ، وابن عمه الاجل ابو الفضل محمد بن الشيخ الفقيه الافضل ابى عبد الله محمد بن يحيى المذكور وحدثتهما به عن مؤلفه الحافظ ابى عبد الله المذكور، رحمة الله عليه .

قال ذلك وكتبه بخط يده العبد الفقير لله تعالى علي بن محمد بن ابى القاسم بن محمد بن محمد بن ابى بكر بن رزين التجيبى بمدينة تونس حرسها الله، بتاريخ العشر الوسط لشهر ذى الحجة مختتم عام خمس وثمانين وستمائة » .

ومن هذا يفهم ان ابن رشيد صاحب المخطوط قرأ النص على الشيخ علي بن محمد . . . بن رزين التجيبى، قرأه مع غيره من التلامذة . وان التجيبى هذا تتلمذ على ابن الابار وقرأ عليه المعجم [1] فى بجاية سنة 655 . وليس معنى قراءة النص ان

---

(1) هذه الاشارة العارضة تدل على ان ابن الابار كان يقوم بالتدريس فى بجاية فى تلك السنة . ولم يذكر هذا احد ممن ترجموا ابن الابار .

يكون هو عينه المخطوط المقروء والذى وصلنا . بل قد يكون المخطوط اقدم من وقت قراءة النص ، وقد يكتب النص بعد القراءة ثم يعرض على الاستاذ ليكتب اجازته للتلميذ فهل مخطوط المعجم الذى وجد بالاسكوريال اقدم كتابة من سنة قراءة ابن رشيد هذا المعجم على الشيخ علي بن محمد بن ابى القاسم التجيبى او احدث منه ؟ نحن لانعرف السنة التى قرأ فيها ابن رشيد على التجيبى ، ولكنا واثقون ان هذا المخطوط . ان كان هو عينه الذى تملكه ابن رشيد . لم يكتب بعد سنة 685 . ونجد كوديرا يقول فى المقدمة اللاتينية : ان خط المتن اقدم من خط الهوامش والتعليقات ، ويرى ان ناسخ المتن كان معاصرا لابن الابار . وعندى ان هذا الاستنباط لايعتمد على دليل قوى ، وان الارجح ان يكون المتن قد كتب سنة 685 كما ذكر. اما من الذين تداولوا هذا المخطوط حتى وصل الى مكتبة الاسكوريال ؟ فهذا سؤال لانستطيع الاجابة عنه. ويكفى ان نقول انه كان قبل ان يصل الى الاسكوريال فى مكتبة سلطان مراكش ابى العباس احمد المنصور الحسنى المعروف بالذهبى وما هى ذى

العبارة التى وجدت فى آخر المخطوط .

«اشترى لخزانة المباركة العلمية الامامية المنصورية الحسنية المولوية ، عمرها الله بدوام ذكره ، على يد عبده وقيم خزانة اهل عبيده . . . . . بن الحاج . . . بالاندلسي . منحه الله رضاه بمحمد وآله صلى الله عليه وسلم » . وقد حكم هذا السلطان مراكش من سنة 1578 الى سنة 1603 م . ولا ندرى كذلك متى نقل هذا المخطوط او اشترى لمكتبة الاسكوريال [1]

وتاريخ تاليف المعجم يحتاج لشيء من التحقيق . فالاستاذ آوديرا يقول انه لايعرف متى ألف ، كذلك لايتعرض ليفى بروفنصال لتاريخ كتابته برأى محدد واضح ، فهو يقول فى المجلة [2] الافريقية : وقد تتلمذ على ابن سكرة عدد كبير من

---

(1) يقول اصدقاؤنا بالمغرب ان القراصين الاسبان استولوا على مركب للسلطان زيدان بن المنصور المذكور (1012 ـ 1037)وكان محتويا على نفائس من جملتها 3000 مجلد من كتب الدين والادب والفلسفة ، وقد اضيفت الى الاسكوريال ، ولا شك ان المعجم مما كان فيها .

(2) Levi Provencal, J. A. 1923, April - Juin , P 223 « Un siècle plus tard , le biographe Ibn al - Abbar censecrait a ses disciples un répertoire au معجم public par Codera . . .

الناس مثل القاضى عياض ، وابن بشكوال مؤلف كتاب الصلة . وبعد موت ابن سكرة بقرن، ألف ابن الابار معجما وقفه على تراجم تلاميذه .

وعندى انه يمكن محاولة تحديد المدة التى كتب فيها المعجم . فنحن نجد المؤلف يشير صراحة فى اماكن كثيرة من المعجم الى كتابه « تكملة الصلة » ، ويقول وقد ذكرت ذلك فى التكملة . . . . الخ . ومعنى هذا ان المعجم الف بعد ان تم تاليف التكملة . فمتى الف « التكملة » ؟

قام الاستاذان « بل » وبن شنب *Bel et Mohamed Benshanab* بعمل تحقيق لتاريخ كتاب التكملة ، كما ذكرنا . ووصلا من هذا التحقيق الى ان ابن الابار اتم تاليف كتاب التكملة فى بدء سنة 631 ، وانه امضى نحو عشرين سنة فى مراجعة هذا المؤلف اى انه اتمه فى صورة [1] نهائية سنة 651 .

---

(1) انظر مقالا بقلم هذين الاستاذين فى Revue Africaine, 1918, P. 306 وكذلك تحت كتاب « تكملة الصلة » فى هذا المؤلف بالصفحات السابقة وهى من 92 الى 109 .

فاذا اخذنا سنة 631 على انها بدء المرحلة التى صار فيها كتاب التكملة مؤلفا فى هيئة عامة صح ان نقول ان المعجم الف بعد سنة 631 هـ. وقد عثرت فى المعجم [1] على العبارة الآتية عند نهاية ترجمة محمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن محمد بن مروان الانصارى : « هذا اول حديث اسنده الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف من تاليفه. وسمعت جميعه على القاضى ابى الخطاب ابن واجب رحمه الله، بمنزله من بلنسية جبرها الله فى سنة 609 » [2].

فعبارة « جبرها الله » هنا تدل على ان تاريخها كان بعد سقوط بلنسية فى يد النصارى اى بعد سنة 636 . فاذا كان تاريخ هذه العبارة هو تاريخ تاليف كل المعجم صح الاستنباط بان المعجم الف بعد سقوط بلنسية اى بعد [3] سنة 636 .

وثمة قرينة اخرى يمكن بتحقيق تاريخها تحقيق تاريخ كتابة المعجم . فاننا نجده ينتهى منه بما [4] يأتى :

---

(1) صفحة 102 . (2) ص 323 ـ 324

(3) وهو ايضا تاريخ جاء تاريخ اتمام تاليف التكملة .

(4) صفحة 324 .

« يقول ابو عبد الله حكم بن سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي - وفقه الله - كتب سيدي ومولاي ابي رضي الله عنه ، الى الفقيه الكاتب ابي عبد الله القضاعي رحمه الله - مؤلف هذا المعجم - لما بعث به اليه - ابياتا من نظمه وهي (انشدتها على الفائد ابي محمد مولى الرئيس قال انشدني مولاي لنفسه):

ياطول فخر قضاعة باخيها	ما ذا أفاد من العلوم بنيها ؟
أهدى اليهم من نتائج فكره	حللا يحلى بالهدى مهديها
والاربعون[1] الاربعينيات قد	شهد الجميع له بفضل فيها
وابان في التاريخ كل هداية	ظل الزمان، ضلالة ، يخفيها
فبوصل تكملة الى الصلة اغتدى	يدعى جليلا في الانام نبيها
وبمعجم اصحابة الصدفي صا	دف غرة قد صان من يرميها
فبحقه يدعى ابو عبد الالا	ه مؤرخا ومحدثا وفقيها
واذا جياد الكتابة أجريت	لم يجر الا لاحقا[2] ووجيها؟

(1) يقصد كتابه « الاربعون حديثا من الاربعين شيخا » .

(2) اللاحق والوجيه من جياد الحلبة .

فجاوبه ايده الله وأعلى بده الفقيه ابو عبد الله رحمه الله بهذه الاسطر:

تلك الجزيرة قبلت تنويها ... سحب تنال بسقيها تنويها

في البحر لم تبرح فما جدوى الحيا ... والبحر يبعث بالسحائب فيها

فخرا لها برياسة حكمية ... تحييه العلياء أو يحميها

ألفت أبا عثمانها ذا سيرة ... عمرية تواليه ما يوليها

فتألفته وألفته مجاهداً ... يسمو لكل رمية يصميها

ندب الى الخيرات منتدب فلن ... تصف النيابة بعض ما يصفيها

ذات الاله بها علاقة ذاته ... تعلو مظاهرة لمن يعليها

فك الرقاب صنائعا مذ قام لم ... ينفك يأتيها كما يؤتيها

ولقد كسا حتى الصحائف جدة ... من جوده وافادها تنبيها

صدرت وقد وردت على متن الهدى ... فتكسبت في حالتيها تيها

لا زال ثغر سده يزهى به ... ويعز عزة من حماه شبيها

لم آله مدحا له وخلاله ... لكن عجزت روية وبديها

أزرى بقولي في قرين قوله: ... «يا طول فخر قضاعة بأخيها»

فهنا قرينة قوية على ان ابن الابار أهدى نسخة من المعجم الى سعيد بن حكم القرشي المكنى ابا عثمان، والذي كان يحمي

الثغر . فمن هو سعيد بن حكم هذا ؟

هو أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي والي جزيرة منورقة من قبل ابى يحيى بن ابى عمران التينملي. واصله من مدينة طلبيرة [1] فى غرب الاندلس. وكان جواداً كريما يشجع العلم والعلماء. والفت باسمه تآليف كثيرة . وكانت بينه وبين ابن الابار مودة وصداقة ، وكثيراً ما كتب اليه ابن الابار مستشفعا، ومدحه بقصائد جميلة، وقد ظل والي الجزيرة [2] الى ان مات فاستولى عليها الروم. ويقول المقرى انه مات بعد أخذ الروم جزيرة ميورقة بمدة . ولكن دائرة المعارف تقول انه « بقى حاكما على الجزيرة من قبل ملك أرغون من سنة 630 الى سنة 685 هـ (1232 ـ 1286م) .

انه من الصعب اذاً تحديد تاريخ الاهداء بالضبط، ولكنه

---

(1) صفحة 585 من الجزء الثاني من نفح الطيب طبعة مصر . ولكن ترجمة نفح الطيب الى الانجليزية التى قام بها Pascual de Gayangos تذكر فى صفحة 333 من الجزء الثانى ان اسم المدينة Tabirah طبيرة أو هى (Tavira) .

(2) وكان يحمى الثغر الجنوبى الذى على بحر الشام من غزو الروم بلادالاندلس.

كان على كل حال بعد سنة 636هـ (سنة سقوط بلنسية) وقبل موت ابن الابار .

واذاً فمن الممكن القول - على وجه التقريب - بأن تاليف المعجم كان حوالى سنة 640 هـ.

أما اسلوب المعجم فلا يختلف عن اسلوب التكملة فى شىء فكلا الكتابين جمع وتصنيف، وكلاهما مقتبس من كتب أخرى ونصيب ابن الابار فى الكتابة الانشائية بالمعجم اقل من نصيبه فى التكملة، لانه لم يقابل أحداً ممن كتب عنهم فى المعجم، وكل ما كتبه عنهم اما نقلا من كتب اخرى واما سماعا من رواية .